

الموقف الشعري في النص التراثي
دراسة تطبيقية على قصيدة (أقفر من عبد شمس كداء)
لابن قيس الرقيات

إعداد

د. محمد السيد سلامة





مقدمة

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن والاه

أما بعد ،،،

فالإبداع الشعري عالم له مفاتيحه وأدواته الفنية التي تستطيع قراءة العالم وفق منطق فني يبتعد كثيرا عن منطق الواقع ، لأن الشاعر يبني عالما خاصا ينطلق من حناياه ووجدانه .

ولا يزال الشاعر يرسم قصيدته بناء على رؤى وتصورات خاصة قد ينجح النقد في قراءتها ، وقد لا يستطيع النفاذ إلى جوهر التجربة الأدبية أو الفنية ، والشعر فن والفن له غاية وغايته البحث عن الجمال ، فجوهر الفن هو خلق عالم فني مواز ، يعتمد على العناصر الجمالية .

وابن قيس الرقيات شاعر وعى أبعاد العملية الفنية فكان شاعرا فنانا صاغ موقفا شعريا يعتمد على تشكيل الأفكار والقضايا الشعرية بصورة فنية .

وتأتي هذه الدراسة للتأكيد على أن المبدع الحقيقي ينتج إبداعا حقيقيا يتخطى حاجز الزمان والمكان ، وأيضا تشير إلى أن النقد القديم لم يحاول فهم المعنى الحقيقي لجوهر الإبداع حينما قصر منطقة النقدى على نظرات جزئية لغوية كانت أو بلاغية إلا أنه لم يستكنه جوهر التجربة الشعرية التي هي في شكل من أشكالها تجربة إنسانية

وحملت الدراسة عنوان (الموقف الشعري في النص التراثي) "دراسة تطبيقية على قصيدة عبيد الله بن قيس الرقيات (أقبرت من عبد شمس كداء)" .

وهى محاولة لتتبع حالة شعرية مثلها ابن قيس الرقيات تراوحت بين الالتزام الشعري بمفهومه الفني ، وليس بمفهومه الوجودي ، وكيف عبر عن الموقف الأيديولوجي من خلال بناء تشكيلي اعتمد المقاييس الفنية - فقط - أداة للتعبير .

والله من وراء القصد .



ابن قيس الرقيات وشاعريته

أشارت معظم المصادر إلى أن ابن قيس الرقيات هو (عبيد الله بن قيس أحد بنى عامر بن لؤي) (1) والبعض يرى أنه عبد الله (2) إلا أن الجاحظ يشرح الفرق بين عبيد الله وعبد الله فيقول (كان لقيس ولدان عبد الله وعبيد الله واختلفوا في الشاعر منهما) (3) وهذا الاضطراب سببه أن الرواة خلطوا بين الاثنين .

وغلب المؤرخون والرواة أن اسم ابن قيس هو (عبيد الله) (4) .

وكما اختلفوا في اسمه ، ذهبوا مذاهب شتى في لقبه (الرقيات) يعلل البغدادي في خزنة الأدب لتلقيبه بالرقيات (لنكاحه لنسوة اسم كل منها رقية) (5) .

شاعريته

جمع ابن قيس الرقيات في شعره بين السهولة والعذوية مستفيدا من اتصاله بالمغنين والمغنيات في بيئة الحجاز (حيث الثريا ومغنوها ومغنياتهما ، وحيث أعلام الغناء من أمثال "ابن سريج" و"ابن مسجح" و"ابن محرز" في مكة) (6) والشعر الغنائي له طبيعة خاصة إذ يجمع بين رقة العواطف وبساطة التعبير (وأكد لا أعرف شاعرا ، أرق لهجة وأعذب لفظا ، وأحسن أدبا في مخاطبة النساء

(1) الشعر والشعراء ، ج 1 ، ص 39 لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 1958 ، دار المعارف ، مصر .

(2) الكامل في اللغة والأدب ، ج 2 ، ص 199 للمبرد ، ط تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر 1997

(3) الحيوان ، ج 2 ، ص 278 ، تحقيق د. عبد السلام هارون ط2 الحلبي 1965.

(4) الموشح ، ص 155 للمرزباني تحقيق محمد علي البجاوي - نهضة مصر - د.ت والأغاني ج5 ص52 ط1 دار

إحياء التراث العربي - بيروت 1994

(5) خزنة الأدب ، ج 2 ، ص 287 للبغدادي تحقيق محمد عبدالسلام هارون - مكتبة الخانجي 1997.

(6) ابن قيس الرقيات حياته وشعره ، ص 158 ، د. إبراهيم عبد الرحمن ، سلسلة دراسات في التراث العربي .



وذكرهن من ابن قيس الرقيات⁽¹⁾ وهذه الصفات لشعر ابن قيس تكاد تكون سمة غالبية على شعره ، استمرت معه حتى في ما يعرف عنده بالشعر السياسي .

فأصبح لديه أسلوب شعري خاص مزج فيه بين الغزل والسياسة وكان لأسلوب الشاعر ملامح خاصة وازن فيها بين العقل والروح (فالممارسة الإبداعية تفاعل بين الذهن واللغة)⁽²⁾ . وكان الشعر السياسي عند ابن قيس الرقيات واضح المعالم بارز القسّمات كلفه كثيرا من المعاناة والاضطهاد ، وكون موقفا شعريا قل أن تجد نظيره عند شعراء معاصرين له .

تمهيد

آلية قراءة القصيدة القديمة :

النقد والإبداع مفهومان متناقضان شكلا متآلفان مضمونا لأن كليهما لا يتحقق وجوده من غير الآخر ، وهما - دائما - متجاذبان سلبا وإيجابا ، وهو تجاذب حيوي وضروري للإبداع الفني .

وقراءة الشعر العربي القديم - من منطلق نقدي - انطلقت وفق آلية تتناسب مع روح المنهج ، والمدرك الثقافي الذي تكونت فيه تلك القراءة ، وأقصد تحديدا القراءة النقدية القديمة ، أو بصيغة أخرى مقومات تلقى النقد قديما للإبداع الشعري الذي هو أهم ما يميز التراث الأدبي العربي .

وأجد الرأي النقدي الذي ذهب إلى القول بأنه ما ترك السابق للاحق شيئا مجافية للواقع وللحقيقة في آن واحد . لأن الدافع من وراء المقولة - قد يكون - إبداعيا أي أن الشعراء السابقين

(1) حديث الأربعاء ، ص 265 ، د. طه حسين مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2001 .

(2) المستوى التركيبي في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص 16 ، عبد الله أحمد التوات ، مجلة التربوي ، جامعة المرقب ، ع 5 ، يوليو 2014 ، ليبيا .



اهتصروا المعاني فلم يتركوا لمن خلفهم مجالاً ، وهو - رأي - لا يتعدى كونه وجهة نظر ، قد يكون بشكل بسيط جداً مجالاً للمناقشة ، بخلاف النقد القديم فإنه سيكون جناية كبيرة على المنجز الإبداعي التراثي أو القديم إن اكتفينا بما ذكره أو تناوله النقاد القدامى للشعر على امتداد مسيرته .

فالعلاقة بين النقد والإبداع قديماً (لم تتوازن كفتاه .. فقد شهد إبداعاً راقياً ... وفي الكفة الأخرى، لم نجد نقداً يوازي الإبداع ويكشف عنه إلا من نظرات بسيطة ، وعبارات ساذجة ، ونقد لا ينم عن عبقرية إبداع والروايات التي وصلت إلينا لا توازي إبداع المعلقات أو أسجاع العرب) (1) يقصد الروايات التي أوردتها كتب النقد القديم.

وعدم التوازن بين النقد والإبداع نبع من عدم فهم النقاد لجوهر الروح الإبداعية ، التي تشكلت وفق مقومات نفسية وشعورية خاصة ، فلم ينفذ النقد إلى عمق هذه الروح ، ولم يستبطن مشاعرها الخاصة التي تتجلى في الإدراك الكلي للتجربة الشعرية ، لقد لاحظ النقد القديم على القصيدة التراثية أموراً شكلية مثل السرقات وعدد التشبيهات وأهجي بيت وأغزل بيت (وبذلك أدخل المتلقي مكانه في المقدمة ، وتقدم الشاعر ليشغله) (2) والمقصود بالمتلقي الناقد ، وهي إشارة إلى أن النقد - حينها - لم يواكب الإبداع .

لذا جاء النقد الحديث ليملاً الفراغ النقدي للشعر القديم ، وهنا إشكالية دقيقة يجب الوقوف عليها ، وهي إشكالية تستوعب متغيرات البيئة والعصر ، وأيضا روح الزمان والمكان .

وهذا كله نابع من حيوية النص القديم وتفرده وخلوده، مما مكنه من الصمود أمام القراءات المتعددة والمناهج المختلفة ، إذ تكشف - معاودة القراءة لنص معين في ضوء مناهج إنسانية حديثة ، ومدارس نقدية متعددة ، وحقب زمنية مختلفة - عن صمود للفكرة الشعرية التي صورها

(1) نقد الشعر بين النظرية والتطبيق (232 - 322) ، د. حمزة فاضل يوسف مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، رقم المجلد 40 - 2005 .

(2) مفهوم الشعر في التراث العربي بين التقليد والتجديد ، ص 51 ، مجلة فكر وإبداع .



الشاعر القديم مما يؤكد أن الشاعر كان متجاوزا في معناه ومبناه لحدود عصره وهذا يجعله صاحب رؤيا⁽¹⁾ إنسانية تتجلى في كل زمان ومكان .

ولعلك تلاحظ أن العلاقة بين الشاعر والناقد - أحيانا كثيرة - كان يشوبها قليلا من التوتر بسبب طبيعة الرؤيا المختلفة لكليهما فالنقد نظرته جزئية وخارجية والشاعر كانت صورته حدسية وعميقة وشاملة ، ولا أدل على ذلك من العيوب التي وقف بها النقاد في وجه الشعراء مثل التدوير والتضمين قال ابن رشيق: "(ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله، ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك عندي تقصير)⁽²⁾، ولكنه أجاز ذلك في مواضع معينة وهو فهم يدل على اختلاف النظرة وتباين المفهوم .

مفهوم الموقف في التجربة الشعرية

الموقف الشعري هو : استلهاً كل عناصر التجربة الشعرية وبناء رؤيا فنية على امتداد التجربة طولا وعرضا .

وهي بهذا ليست إبداء رأي في قضية ما حتى ولو كانت قضية فنية وإنما يتبلور الموقف الشعري ويتم رصده من درجة حساسية الشاعر للصورة التي يشير إليها وهي صورة تنطلق من وجدان مفعم بالأحداث التي يراد التعبير عنها .

وفى الموقف الشعري ينجلي مفهوم الصدق الفني ، وهو مغاير للصدق الواقعي ، يقول قدامة بن جعفر عن هذا المفهوم : فالشاعر (ليس يوصف بأن يكون صادقا ، بل إنما يراد منه

(1) رؤيا: هي الحدس والكشف، بخلاف رؤية فتعني الرؤية البصرية العادية.

(2) العمدة، الجزء 1، ص 261-262 لابن رشيق. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط

5، 1981م.



إذا أخذ في معنى من المعاني - كائنا ما كان - أن يجيده في وقته الحاضر لا ينسخ ما قاله في وقت آخر⁽¹⁾ وهي رؤيا متقدمة لقدامة في إدراك كافة جوانب العمل الشعري ..

فالصدق الفني يعني (أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه إلى ذات نفسه لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة وهذا الصدق الفني أو الأصالة أساس تقدم الفنون جميعها)⁽²⁾ بمعنى أن الشاعر يصف حقيقة ما يحس به وما يصوره له وجدانه سواء وافق هذا الإحساس الواقع أم خالفه .

لم يتعرض النقد القديم مباشرة لمفهوم الموقف الشعري فالموقف (مصطلح نقدي جديد شاع في دراسات (علم الأسلوب) ويقصد به : وجهة النظر - أو الفلسفة التي تبدو من بعيد خلف النص)⁽³⁾ فهي روح تسري في أجواء تدرك ولا تحس إحساسا مباشرا وهو تعريف يتماشى مع البناء الفني لعملية الإبداع الشعري انطلاقا من كونه فنا (يحتاج إلى الوقائع واللغة والخيال والتأمل لتفسير الحياة بمختلف إرهاباتها وتداخلاتها بغية الوصول بثقة واقتدار إلى لحظة التوهج الشعري وخلق علاقة وارتباط بين الموقف والموضوع الذي يطرحه بقيمة فنية وجمالية)⁽⁴⁾. فالموقف هو اتكاء على مقومات التجربة لطرح مفهوم جديد وعالم آخر للواقع الذي يعيش فيه ، والشاعر هنا غايته أن يعبر ويشير إلى الأشياء ويبرزها في شكل فني ، وليست غايته الحديث عن هذه الأشياء موضحا حقيقتها وبيان الأسباب المادية لها ، قد يكون هذا بعض غايات أنواع أخرى من التعبير ، أما الشعر فإنه يكتفي ببلورة الأشياء في قالب فني ، ويمس الحقيقة الجوهرية مساقيا وقد يكون ذلك مقصودا ، ولكن ليس ذلك هو غاية الشعر . (فالموقف - إذن - بهذا المنطق الحضاري

(1) نقد الشعر ، ص 68، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت دت.

(2) النقد الأدبي الحديث، ص 214، د. محمد غنيمي هلال، ط: نهضة مصر، ط 6، 2005.

(3) جماليات القصيدة المعاصرة ، ص 54 ، د. طه وادي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 2000 .

(4) الشعر خلق علاقة وارتباط بين الموقف والموضوع الذي يطرحه ، صحيفة المستقبل العراقي بتاريخ

2016/9/25 للكاتب أحمد البياتي .



المعقد ثابت في التشكيل الأدبي ومنه الشعر ، حيث ظل الشعراء جاهدين في الكتابة وفقا لمواقف يجب أن تتجلى في مسوغات الفن والحديث هنا عن الشعراء المرموقين الذي تسلحوا بخبرات عقيدية وفكرية تمنحهم الإبداع وفق أنساق خاصة⁽¹⁾.

في ضوء هذا التصور جاء موقف الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات من الأمويين ، وهنا يجب تحليل الموقف في ضوء الفن الشعري ، وليس في ظل الصراع الأيديولوجي ، ونحن لا يعيننا مذهبه السياسي قدر ما يعيننا كيف بلور موقفه السياسي شعرا ؟.

لقد تباين النقاد إزاء هذا الموقف المشتبك والمتداخل لأنه قد جاور الزبيريين (عبد الله بن الزبير وأخاه مصعبا) وأخلص لهم في المدح ، وفي حجورهم تناول الأمويين وهجهم تصريحاً وتلميحاً ، ثم انتقل بعد ذلك إلى ساحات الأمويين وأنشدهم مدائح مججلة .

هذا التنوع في المواقف لم يلتفت إليه النقاد ، ولم يعالجوه معالجة فنية ، بل وجدوا فيه شيئاً عادياً لا ينتقص من القيمة والقامة يقول الدكتور طه حسين عن الشاعر (اتصل بالزبيريين ، وفيهم قال أجود مدائحه ، واتصل بالأمويين وفيهم قال الكثير الجيد واتصل بالهاشميين وفيهم أحسن المدح وأجاد ، ولم يكن مع ذلك متلونا ولا فاسد الضمير)⁽²⁾ ووفقاً لما يراه طه حسين من أنه مع هذه الانتقالات الحادة في المواقف لم يكن متلونا ولا فاسد الضمير يجب البحث عن الأسباب التي دفعت الدكتور طه حسين إلى تبنيه هذا الموقف من الشاعر .

لقد لمح طه حسين - بعد قراءة التجربة الشعرية كاملة لابن قيس الرقيات - في موقفه - ثباتاً على رأي هو حبه لقريش ، وهو حب تجاوز به المفهوم القبلي الضيق للزبيريين والأمويين .

(1) الموقف والتشكيل في الشعر الإسلامي المعاصر ، ص 81 - 82 ، د. عمر بوقروره ، مجلة الرزقاء للبحوث والدراسات ، الأردن ، مجلد 1 عدد 2 ، 1999 .

(2) حديث الأربعاء ، ص 265 .



إن قراءة ديوان ابن قيس الرقيات قراءة مستوعبة تشير إلى تكوين موقف خاص له مدركات وأبعاد مختلفة قفزت فوق كل الملابس الفنية والفكرية والعاطفية وشكل رؤيا تتقاطع مع الذات والمجموع بشكل دقيق ليصير هذا الموقف تراثا وشيئا فريدا ، قد يكون تأييدا لهذا الواقع وقد يكون رفضا وثورة عليه ، وشاعرنا سواء وعى أم لم يع تلك المنطلقات الفلسفية الدقيقة لبناء الرؤيا الشعرية ، فإن موقفه الشعري جدير بالتسجيل والوقوف أمامه (وبنية العمل الأدبي - كأى نشاط معرفي - تقدم خبرة موضوعية وفلسفة فكرية للواقع الإنساني ، بيد أن الأدب لا يقدم رأيا ، إنما يشكل رؤية ، ولا يعكس محاكاة مباشرة إنما (موازاة رمزية) له ومعاد لا موضوعيا لكل ما ينفعل به الفنان ، وهو إذ يصور قضية ما في سياق تاريخي محدد ، فإنه ينطلق من موقف فكري إزاءها ، غير أن موقف الفنان لا يسجل بشكل تقريرى مجرد ، وإنما يصور بطريقة أقرب إلى التأثر الانفعالي يعبر عنها جماليا بلغة الفن الرمزية) (1) . وهو أقرب إلى بناء موقف ،

وابن قيس الرقيات في موقفه الشعري من الصراع السياسي والاجتماعي الذي أصاب الحياة الأموية تخطى حاجز المألوف فنيا وفكريا وبلور رؤيا أدبية خالصة مستلهمة معنى إنسانيا نبيلًا هو السلام والحب والوفاء والإخلاص و(الموقف في الشعر ليس إلا سلوكا إنسانيا تتحقق فيه إنسانية الإنسان في أسمى صورها ، ومن ثم يصبح الشعر سلوكا إنسانيا) (2) وهو ربط صريح ومباشر بين الموقف الشعري والاتجاه الإنساني ، وهو ربط حيوي وضروري إذا أردنا أن نبحت عن القيمة الحقيقية للفن عامة والشعر خاصة بالتزامن مع الوجود الإنساني .

فلو سلمنا بأن الفن له إطار واقعي أو اجتماعي فالإنسان صورة من صور الواقع ، ومظهر من مظاهر المجتمع ، ولو أيدنا الرأي الآخر الذي يذهب إلى أن الفن غايته فنية فقط ، فلن نبتعد - أيضا - كثيرا بل على العكس هو ألصق بالرؤيا الإنسانية في جوهر خلجاتها فالشعر

(1) شعر ناجي ، الموقف والأداة ، ص 52 ، د. طه وادي . ط 4 - 1994 دار المعارف - مصر

(2) الشعر والموقف ، ص 16 د. عبد الرحيم الكردي ، مجلة كتابات 34 مارس 2012 .



أحاسيس ، والروح الإنسانية مفهوم مطلق يشبه كثيرا المفهوم المجرد لكيقونة الفن من ناحية امتزاجه بالأحاسيس والمشاعر .

إن ابن قيس الرقيات ارتحل فنيا ومكانيا في عمق الشعور الإنساني عندما أبصر المأساة الإنسانية تطلق في آفاق النفس العربية من خلال صراع احتدم أواره بين أبناء الجنس الواحد ، وأتى على الأخضر واليابس ، وانتهك كل المقدسات والأعراف في شكل صراع بين الزبيريين والأمويين مع الأخذ في الاعتبار كونهما ينحدران من أصل واحد ، وانطلاقا من كون (كل أديب له موقف من الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعيش فيه ، فلا حياد في الإبداع) ⁽¹⁾ وهذا يفسر حيوية الأديب ، وطبيعة تفاعله مع البيئة التي تحيط به .

وخصوصية الموقف عند ابن قيس أنه استوعب المتغيرات السياسية والنفسية والاجتماعية وصاغ تجربة إنسانية ناضجة لا تزال حية حتى العصر الحاضر .

(1) أدب ونقد العدد 146 ، حسن فتح الباب ، 1997 .



ثانياً: الدراسة التطبيقية

وقال ابن قيس يمدح مصعب بن الزبير

ويفتخر بقريش⁽¹⁾

خفيف

- | | | |
|---|--|---|
| 1 | أقـفـرت بـعد عـبـد شـمـس كـدـاء | فـكـدي فـالـركـن فـالـبـطـحـاء ⁽²⁾ |
| 2 | فـمـنى فـالـجـمـار مـن عـبـد شـمـس | مـقـفـرات فـبـلـدـح فـحـرـاء ⁽³⁾ |
| 3 | فـالـخـيـام الـتي بـعـسـفـان فـالـجـحـ | فـة مـنـهـم فـالـقـاع فـالـأـبـواء ⁽⁴⁾ |
| 4 | مـوحـشـات إلـى تـعـاهـن فـالـسـقـ | يـا قـفـار مـن عـبـد شـمـس خـلـاء ⁽⁵⁾ |
| 5 | قـد أـرـاهـم وـفـي المـواـسـم إذ يـغـ | دـون حـلـم وـنـائـل وـبـهـاء |
| 6 | وـحـسـان مـثـل الـدمـى عـبـشـمـيا | ت عـلـيـهـن بـهـجـة وـحـيـاء |

(1) ديوان ابن قيس الرقيات، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، بيروت: دار صادر. د.ت.

(2) كداء: جبل بمكة، وهو عرفة. كدي: جبل قريب منه. الركن: اليماني، ركن البيت الحرام، والبطحاء: بطحاء مكة.

(3) منى: جبل بمكة، وهو من مواقع الحج. الجمار: جمع جمرة وهي موضع رمي الحجارة، بلدح: واد عند الجراحية في طريق التنعيم إلى مكة. وحرأ: جبل بمكة.

(4) عسفان: مهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. وقيل هي قرية جامعة بها منبر ونخيل على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة، الجحفة: قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وقيل على ثلاث. القاع: منزل للحج بطريق مكة. الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. وقيل جبل على يمين الطريق المصعد من المدينة إلى مكة.

(5) تعاهن: اسم عين ماء سمي به موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة. وجميع هذه المواضع يكثر ذكرها في السيرة.



- 7 لا يبعن العياب في موسم النا
8 ظاهرات الجمال والسرو ينظر
9 حبذا العيش حين قومي جميع
10 قبل أن تطمع القبائل في ملـ
11 أيها المشتهي فناء قريش
12 إن تُودِّعِ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ
13 لَوْ تَقَّقِي وَتَتْرُكِي النَّاسَ كَانُوا
14 هَلْ تَرَى مِنْ مُخَلَّدٍ غَيْرَ أَنَّ الـ
15 يَأْمُلُ النَّاسُ فِي غَدٍ رَغَبَ الدَّهْرِ
16 لَمْ نَزَلْ آمِنِينَ يَحْسُدُنَا النَّاسُ
17 فَرَضِينَا فَمَتِ بِدَائِكَ غَمًّا
18 لَوْ بَكَتِ هَذِهِ السَّمَاءُ عَلَى قَوْمِ
19 نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَالصِّدِّيقِ
س إذا طاف بالعياب النساء (1)
ن كما ينظر الأراك الظباء (2)
لم تفرق أمرها الأهواء
ك قريش وتشمت الأعداء
بيد الله عمرها والفاء
لا يَكُنْ بَعْدَهُمْ لَحْيٌ بِقَاءِ
غَنَمِ الذِّئْبِ غَابَ عَنْهَا الرِّعَاءُ
لَهُ يَبْقَى وَتَذْهَبُ الْأَشْيَاءُ
رِ الْأَفِي غَدٍ يَكُونُ الْقَضَاءُ
سُ وَيَجْرِي لَنَا بِذَلِكَ الثَّرَاءُ
لَا تُمَيِّتُنَّ غَيْرَكَ الْأَدْوَاءُ
مِ كِرَامٍ بَكَتِ عَلَيْنَا السَّمَاءُ
دِيقٌ مِّنَّا التَّقِيُّ وَالْخُلَفَاءُ

(1) أي لا يطفن بالثياب والعطور في المواسم كما تفعل النساء الوضيعات .

(2) السرو : المروءة والشرف .



- 20 وَقَتِيلُ الْأَحْزَابِ حَمَزَةٌ مَنَا
 21 وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحِيْنَ
 22 وَالزُّبَيْرُ الَّذِي أَجَابَ رَسُوْلَ الْـ
 23 وَالَّذِي نَعَّصَ ابْنَ دَوْمَةَ مَا تَو
 24 فَأَبَاحَ الْعِرَاقَ يَضْرِبُهُمْ بِالْـ
 25 غَيْبُوا عَنِ مَوَاطِنِ مُنْظَعَاتِ
 26 فَسَعَوْا كَيْ يُفْلَكُوا وَيَأْبَى الْـ
 27 حَسَدًا إِذْ رَأَوْكَ فَضَلَّكَ اللَّـ
 28 فَعَلَى هَدْيِهِمْ خَرَجْتَ وَمَا طِ
 29 إِنْ تَعِشْ لَا تَزَلْ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهـ
- أَسَدُ اللَّهِ وَالسَّنَاءُ سَنَاءٌ⁽¹⁾
 مِنْ هُنَاكَ الْوَصِيُّ وَالشَّهَادَةُ⁽²⁾
 لَهُ فِي الْكَرْبِ وَالْبَلَاءُ بَلَاءٌ⁽³⁾
 حِي الشَّيَاطِينُ وَالسُّيُوفُ ظِمَاءٌ⁽⁴⁾
 سَيْفٍ صَلَّتْ فِي الضَّرَابِ غَلَاءٌ
 لَيْسَ فِيهَا إِلَّا السُّيُوفُ رَخَاءٌ
 لَهُ إِلَّا الَّذِي يَرَى وَيَشَاءُ⁽⁵⁾
 لَهُ بِمَا فَضَّلَتْ بِهِ النَّجْبَاءُ
 بَيْتِكَ فِي اللَّهِ إِذْ خَرَجْتَ الرِّيَاءُ
 لِكَ نَزَلْ مِثْلَ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ

(1) هو حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم قتله وحشي غلام جبير بن مطعم يوم أحد .

(2) ذوا الجناحين لقب جعفر بن أبي طالب . والوصي : يعني عليا رضي الله عنه .

(3) الزبير بن العوام ، أبو عبد الله ، أحد العشرة وأحد السنة أصحاب الشورى هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها وهو أول من سل سيفا في سبيل الله ، قال فيه الرسول : "إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير" . وقتل يوم الجمل .

(4) " ابن دومة : المختار بن ابي عبيد الثقفي والذي نغصه مصعب بن الزبير وكان المختار لا يوقف له على مذهب ، كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا في ظاهره . وقوله : ما توحى الشياطين فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضربا من السجاعة لأمر تكون ، ثم يحتال فيوقعها ، فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل " الكامل 596 – 597 .

(5) يفلوك : يضعفوك ويكسروا حدك .



- 30 إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّـهِ
 31 مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ
 32 يَنْتَقِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَف
 33 إِنَّ لِلَّهِ دَرَّ قَوْمٍ يُرِيدُونَ
 34 بَعْدَمَا أَحْرَزَ الْإِلَـهَ بِكَ الرِّتْمَ
 35 وَرِجَالٌ لَوْ شِئْتَ سَمَّيْتَهُمْ مِنْ
 36 مِنْهُمْ ذُو النَّدَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
 37 حَاطَ أَوْأَالَهُ خُزَاعَةَ لَمَّا
 38 حِينَ قَالَ الرَّسُولُ زَلُّوا فَزَلُّوا
 39 وَرِجَالٌ مِنَ الْأَحَابِيشِ كَانَتْ
 40 وَالَّذِي أَشْرَبَتْ قُرَيْشٌ لَهُ الْخُـ
- هُ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ
 جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
 لَحَ مَنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِيقَاءُ
 نَكَ بِالنَّقْصِ وَالشَّقَاءِ شَقَاءُ
 قَ وَهَرَّتْ كِلَابُكَ الْأَعْدَاءُ⁽¹⁾
 نَا وَمِنَّا الْقُضَاءُ وَالْعَمَاءُ
 عِصْمَةُ الْجَارِ حِينَ حُبِّ الْوَفَاءِ⁽²⁾
 كَثَّرْتَهُمْ بِمَكَّةَ الْأَحْيَاءُ
 لَهُمْ فِي الدِّينِ حَاطَ دِمَاءُ
 شَرَعَ الدِّينَ لَيْسَ فِيهِ خَفَاءُ⁽³⁾
 بَ عَلَيْهِ مِمَّا يُحِبُّ رِءَاءُ

يعني عثمان بن عفان رضى الله عنه .

- 41 وَأَبُو الْفَضْلِ وَإِبْنُهُ الْجَبْرُ عَبْدُ الْـ
- لَهُ إِنْ عَايَ بِالرَّأْيِ الْفُقَهَاءُ

(1) أحرز الرتمق : أزال التصدع والفرقة .

(2) سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، وهو الأعم الخطيب وكان من أشرف قريش وأمه من خزاعة أسلم يوم الفتح وقام بعد ذلك بمكة خطيباً حين توفي الرسول وهاج أهل مكة وكادوا يرتدون ، فسكن الناس وقبلوا منه . وخرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا حتى ماتوا كلهم هنالك . توفي سنة 18 بالطاعون . (انظر : نسب قريش 417 – 418 ، والإصابة 3566 والاستيعاب 2 : 108 – 112) .

(3) الأحابيش : جماعة من قريش نسبوا إلى حبشي ، وهو جبل بأسفل مكة ، لأنهم تحالفوا بالله إنهم ليد على غير ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبشي (القاموس : حبش) .



والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس .

42 وَالَّذِي إِنْ أَشَارَ نَحْوَكَ لَطْمًا تَبِعَ اللَّطْمَ نَائِلٌ وَعَطَاءٌ

هذا عبد الله بن جدعان ، وكان عبد الله قد كبر فحجر عليه أهل بيته أن يعطي

أحدا ، فكان إذا جاءه الرجل يسأله ، قال : إني سوف أطمك، فلا ترض حتى

يفتدى منك بما تريد أو تظمني (1) .

43 وَالْبُحُورُ الَّتِي تُعَدُّ إِذَا النَّاسُ لِهَيْمٍ جَاهِلِيَّةٌ عَمِيَاءُ

44 يُطْعَمُونَ السَّدِيفَ مِنْ قَحْدِ الشَّوْ لِي مَنْ أَوْتِ إِلَيْهِمُ الْبَطْحَاءُ (2)

45 فِي جِفَانٍ كَأَنَّهِنَّ جَوَابٍ مُتْرَعَاتٍ كَمَا تَقِيضُ النَّهَاءُ (3)

46 وَهُمْ الْمُحْتَبُونَ فِي حُلِّ الْيَمِّ نَةً فِيهِمْ سَمَاخَةٌ وَبَهَاءُ (4)

47 أَقْسَمُوا لَا نَزَالَ نُطْعِمُ مَا هَبَ بَتِ رِيَاخُ الشَّمَالِ وَالْأَصْبَاءُ (5)

48 وَعِيَاضٌ مِمَّا عِيَاضُ بَنُ غَنَمٍ كَانَ مِنْ خَيْرِ مَا أَجَنَّ النِّسَاءُ (6)

عياض بن غنم الحارث بن فهر .

49 عَيْنِ قَابِكِي عَلَى قُرَيْشٍ وَهَلْ يُرْ جِعُ مَا فَاتَتْ إِنْ بَكَيْتِ الْبُكَاءُ

(1) انظر نسب قريش 292 – 293 .

(2) [السديف] : قطع السنام . أصل السنام يقال له قحدة .

(3) النهاء : جمع نهي وهو الغدير .

(4) احتبى بالثوب : اشتمل . حلل اليمنة : ثياب تنسب إلى اليمن .

(5) الأصباء : جمع صبا وهي ريح الجنوب .

(6) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال . كان شريفا وله فتوح بناحية الجزيرة في زمن

عمر بن الخطاب . وهو أول من أجاز الدرب إلى الروم (انظر نسب قريش 446) .



50 مَعَشْرٌ حَتَّفُهُمْ سُيُوفُ بَنِي الْعَدُوِّ - لَاتٍ يَخْشَوْنَ أَنْ يَضِيعَ الْإِسْوَاءُ

يريد : لحم وعك وجد ام أيام عبد الله بن الزبير ونبي أمية .

51 تَرَكَ الرَّأْسَ كَالْتِغَامَةِ مِنْ بَنِي تَغَابَاتٍ تَسْرِي بِهَا الْأَنْبَاءُ (1)

52 مِثْلُ وَقْعِ الْقَدُومِ حَلًّا بِنَا قَالَ نَاسٌ مِمَّا أَصَابَنَا أَخْلَاءُ

أخلاء من الهموم .

53 لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتٍ نَحْنُ حُجَابُهُ عَلَيْهِ الْمُلَاءُ

54 خَصَّه اللَّهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ

55 حَرَّقْتَهُ رِجَالٌ لَخْمٍ وَعَاكِفٌ وَجُذَامٌ وَجَمِيرٌ وَصُودَاءُ

56 فَبَيْنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَا حَرَّقُوهُ فَاسْتَوَى السَّمَكُ وَاسْتَقَلَّ الْبِنَاءُ

57 كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا يَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةٌ شَعْوَاءُ

58 تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنِ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنِ بُرَاهِمِ الْعَقِيلَةِ الْعِزْرَاءُ (2)

59 أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مُزَوَّرٌ وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ

60 إِنَّ قَتْلِي بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي كَانَ مِنْكُمْ لَنْ قُتِلْتُمْ شِفَاءً (3)

(1) التغاممة : واحدة التغام وهو نبت يبيض عندما يبيض ، يشبه به الشيب .

(2) البرى : الخلاخيل ، واحدها برة . يريد أن النساء يكشفن عن خلاخيلهن وسيقانهن أثناء الهرب حين وقوع الفرع .

(3) يثير إلى مقتل الحسين بن علي في كربلاء ، وهي تقع في الطف ، من ضواحي الكوفة . وقد قتل فيها معه نفر كثير من القرشيين ، وذلك سنة 66 .



البناء الفني للموقف الشعري في القصيدة

الشعر فن هذا هدفه وتلك غايته وبهذا الهدف ومن خلال تلك الغاية كان له مفهومه الخاص الذي يمتاز به عن باقي الفنون فالرسم لغته الفنية هي الألوان والموسيقى أدواته الألحان ، والمثال - إعادة تشكيل الحجر - من خلال الإزميل ، حتى يصبح كائنا آخر له بعد روحي ووجداني عميق .

والأدوات التعبيرية للفنان خاصة ومتميزة ، والشعر يستوعب كل الأدوات الفنية الأخرى ، فهو يرسم بالكلمات ويجسم منحوتاته من خلال صور شعرية تتفاعل مع النفس الإنسانية ، وتتناغم مع مدركاتها الشعورية والوجدانية لذلك لا غرو أن يطلق عليه صفة (الحكيم) شأنه شأن الفيلسوف والطبيب .

والفن الشعري في جوهره لم يختلف في الحديث عن مفهومه القديم ، وكان الجاحظ واعيا لهذا البعد الفني ، في كون الشعر قيمة فنية ، ثم تأتي القيمة الفكرية في مرحلة تالية (و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروى والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء و في صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) (1) وكل ما ذكره الجاحظ هي مقومات فنية من شرايينها تتشكل الرؤيا الشعرية ويتبلور الموقف الشعري ،

ومن أهم الملامح الفنية التي اعتمد عليها ابن قيس الرقيات في القصيدة وساهمت في بنائها بناء فنيا مستويات متعددة :

(1) الحيوان ، ج 3 ، ص 131 - 132 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، سنة 1965 ، ط الحلبي ، ط 2 .



أولا - العنوان

عرفت قصيدة ابن قيس الرقيات ، عند أغلب النقاد بـ (الهمزية)⁽¹⁾ نسبة إلى الحرف الأخير في القصيدة وهو ما يعرف بـ (الروي) وهي من التسميات المألوفة لأغلب قصائد الشعر العربي القديم مثل اللامية التي أطلقت على معلقة امرئ القيس ، وغير ذلك مما هو شائع في الأدب العربي القديم (فالقصيدة العربية لا تعرف العنوان المباشر الذي يعد جزءا عضويا منها إلا في الشعر المعاصر ، أما قبل هذا فإن القصيدة العربية اتخذت بعض أساليب العنونة غير المباشرة)⁽²⁾ وذهبت الآراء كل مذهب في عدم اتخاذ الشعراء عناوين محددة لقصائدهم فمنهم من لاحظ أن (غياب العنوان المباشر في الإبداع القديم مؤشر على غياب التدوين)⁽³⁾ وهو تبرير لا ينهض ليكون سببا كافيا ومقنعا ، لأنهم في الجاهلية كانوا يعنونون شيئا من حياتهم في شقيها الاجتماعي كالوثائق والأحلاف مثل حلف الفضول وغيره ، وأيضا كتبوا المعلقات ودونوها ولم يعنونوها .

وقد يكون السبب نابعا من داخل مفهوم القصيدة نفسها لأنها متعددة (الموضوعات في القصيدة الواحدة)⁽⁴⁾ . وهو رأى منطقي إلى حد ما من الممكن قبوله والتسليم به ، لأنه رأى ينبع من داخل الإجراء التكويني للقصيدة .

إلا أن الرأي السابق يختزل الجانب الإبداعي للقصيدة فقد يكون ترك العنوان من الشاعر القديم متعمدا ، و(تكون القصيدة حرة في اختيار مسار رحلتها ، مهما كان هذا المسار محددًا

(1) شوقي ضيف ، العصر الإسلامي : 295 ، دار المعارف 1963 وراجع ابن قيس الرقيات حياته وشعره : 72 د أحمد عبد الرحمن ، ودراسة في البيئات السياسية : 7 د .مي يوسف خليف .

(2) العنوان في الأدب العربي ، النشأة والتطور ، ص 49 ، محمد عويس ، مكتبة الأنجلو ، ط 1 ، 1988 .

(3) العنوان في ثقافتنا العربية ، ص 15 ، سعادة لعل ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة بالجزائر .

(4) العنوان في الأدب العربي ، النشأة والتطور ، ص 51 .



بمعايير النقاد ، القصيدة جغرافية متعددة المواقع والاضلاع لها كل الأسماء الممكنة⁽¹⁾ وهذا التحليل أقرب إلى فهم روح الإبداع .

ومحاولة تفكيك العنوان في القصيدة ، هو مدخل لقراءة تضاريسها الفنية ، ويشكل بعدا معرفيا ضروريا في سياق الصورة الفنية (فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسندا ، فإن العنوان مسند إليه هكذا فالعنوان هو الموضوع العام بينما يشكل النص بما هو خطاب آخر أجزاء العنوان)⁽²⁾ . فأصبح من الضروري أن نتحسس موقعا للعنوان في قصائدنا وتحديدنا في النص التراثي .

أشرت سابقا إلى أن القصيدة عرفت بـ (الهمزية) ، غير أن الدكتور محمد يوسف نجم محقق الديوان عنون القصيدة بقوله (وقال ابن قيس يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش)⁽³⁾ ولم يوثق ما قال مما يوحي بأن هذا العنوان من اختياراته ولا غرو في ذلك .

قد يكون هذا العنوان ملائما للانطباع الأول المتولد عن النظرة الأولى والعجلى في القصيدة ، إلا أن مداومة النظر فيها تشي بشيء آخر سرعان ما يتبلور لدى المتأمل وهو (بكاء قريش) لأن مصطلح (بكاء) أخف وطأة من كلمة رثاء ، إذ توحى بالموت أما البكاء فيشير إلى حالة من حالات الوهن والمرض أحيانا وهذه القراءة تنقلنا إلى موقف ابن قيس الرقيات من قريش فماذا يقول هذا الموقف :

يقول : إن ما تتعرض له قريش من فتن واضطرابات وحروب قد يعصف بالقبيلة كلها وليس بأفراد بعينها ، مع الوضع في الاعتبار أن ابن الزبير لا يفضل الأمويين من جهة فكلاهما

(1) الشعر الحديث ، بنياته وإبدالاتها التقليدية ، ص 102 ، د. محمد بنيس ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2001 .

(2) التقنيات الفنية خلف ظاهر النص ، ص 71 ، حسن غريب أحمد سلامة ، دون ناشر . القاهرة .

(3) ديوان ابن قيس الرقيات ، ص 87 .



قرشي لذلك كانت نظرة الشاعر أعمق وأشمل وأوسع ، فكان الحديث لقريش ، وإليها كان المدح ، وعليها كان البكاء .

إليها كان المدح لأنها مهد النبي صلى الله عليه وسلم وموئل جميع الشخصيات التي تتشح بالبعد الديني والعاطفي في الذاكرة الإسلامية ، وإليها كان المدح - أيضا - لأنها مهد التاريخ والشيم الأخلاقية الكريمة .

وعليها كان البكاء - عند الشاعر - لأنها تتعرض لحالة من حالات الانشقاق والقتال الدائم والمستمر ، وأصبحت مطمعا للقبائل المجاورة .

قد يتأتى مفهوم المدح صراحة لابن الزبير في ثنايا القصيدة غير أنه لا يمثل مساحة فنية كبيرة ، بل جاء منعطفًا من المنعطفات الكثيرة التي وردت في القصيدة ، فلو كان الأمر يتعلق بالمدح لاستطاع الشاعر أن يخلص بالقصيدة كلها إلى مأموله ، لكنه لم يشأ لأنه وعى أن أسباب المدح مفقودة بسبب ما يحاك لقريش - المفهوم الأكبر للحب والجمال - من مؤامرة تكاد تقضي عليها نهائيا .

ولعلك تلاحظ نبرة الحزن التي تشيع من جنبات النص ، وهو حزن نبع من شعور داخلي وجداني ، ولم يكن هذا الشعور من فراغ ، وإنما بسبب أن الشاعر عانى (مرارة السياسة بالمقدار نفسه الذي عانى فيه العشق والحب) (1) . وهى معاناة ساهمت بقدر كبير في تمزقه بين حبه للزبيريين وولائه لقريش ، لأنه أبصر أن الصدام بينهما اغتيال معنوي لمفهوم القوة والتماسك (فانتماؤه السياسي للزبيريين جعله يشعر بفقدان نعيم الشباب ولهوه وحلاوته وغاضه أيضا ما حل

(1) الغربية والاعتراب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص 115 ، إنعام رواقه ، مجلة مؤتة للدراسات والعلوم الاجتماعية ، مج 19 ، ع 8 ، 2008 .



بهم من خصومهم الأمويين الذين يمثلون الحكومة للسائدة حتى تقتل مصعب بن الزبير وأخوه عبد الله فعندها انداح في الأرض العربية يبحث عن الأمن السياسي (1).

لقد عبر الشاعر عن الواقع المرير الذي تحياه الدولة الإسلامية كلها ممثلة في أحزابها واتجاهاتها السياسية المتعددة ، عبر الشاعر عن ذلك من خلال وجدان مفعم بالأسى والحسرة ، ولم يكن على مستوى الحدث عندما أيقن أن هذه الدولة على اتساعها وترامى أطرافها لم تتحقق إلا في قريش ، فقد سيطر عليه مفهوم قبلي نجح إلى حد ما في السيطرة على الرؤيا الإنسانية التي تحدثت الشاعر عن أهم مميزاتا ، وهى الاتحاد والتآلف ، ونبذ العنف الفتن .

فالعنوان يفسر ويشير إلى حالة مرهونة بحدث هو ذلك الصراع الذي كان محتدما بين الزبيريين والأمويين وهو ما راحت القصيدة تغذيه مجملا تارة ومفصلا تارات كثيرة .

ثانيا : المكان

يشكل المكان ملمحا فنيا من ملامح البناء الشعري للموقف عند ابن قيس الرقيات ، فهو يحاول من خلال مفهوم المكان تخطى الدلالة الضيقة للمصطلح لينفذ إلى عمق المعنى الذي يعبر عنه ، وهو إبراز الأثر المعنوي والشعوري الذي أصاب الذات الشعرية عنده ، ولقد نجح في المواءمة بشكل لافت في الربط بين الذات (الشاعر) والعام (الصراع) بين الأمويين والزبيريين ، وانعكاسات ذلك على الوجدان الجمعي (فالوحدة بين الذات والموضوع التي تتشكل نتيجة الامتزاج الكامل هي ثمرة طبيعية لما يسمى بالرؤياالتي من خلالها تتضح لنا قدرة الفنان الفنية) (2) ، والشاعر حين ينغمس في أتون الواقع ، فإنه لا يقصد من وراء ذلك وصف هذا الواقع، أو حتى

(1) السابق نفسه .

(2) الذاتي والموضوعي في شعر ابن قيس الرقيات ، ص 230 ، د. أمل طاهر نصير ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 28 ، ع 8 ، الأردن ، 2001 .



إيجاد واقع بديل ، ولكنه يقدم رؤية للأشياء ، وهذه الرؤية تتساند أو تتوحد لتصنع عالمها الخاص⁽¹⁾ وهو عالم له آفاقه ومنطقه المتميز والمتفرد .

لقد ارتبط المكان في قصيدة ابن قيس التي نستجليها بمقومات إنسانية وسياسية وفنية خاصة ، أما عن المقومات الفنية فإنها توحى للوهلة الأولى بمسايرة منطق القصيدة القديمة ، غير أن المتأمل يرى أن صورة المكان هنا تختلف اختلافا شديدا عن المقدمات التي اشتهرت بها القصيدة العربية القديمة وهو ما عرف نقديا بـ (المقدمة الطلية) يقول الشاعر :

أقـفـرت بـعـد عـبـد شـمـس كـدـاء	فكـدـى فـالـرـكـن فـالـبـطـحـاء
فمـنـى فـالـجـمـار مـن عـبـد شـمـس	مقـفـرات فـبـلـدح فـجـرـاء
فـالـخـيـام الـتـي بـعـسـفـان فـالـجـحـ	سـفـة مـنـهـم فـالـقـاع فـالـأبـواء
مـوحـشـات إلـى تـعـاهـن فـالـسـقـ	يـا قـفـار مـن عـبـد شـمـس خـلـاء
قـد أـرـاهـم وـفـى المـوـاسـم إذ يـغـ	دـون حـلـم وـنـائـل وـبـهـاء
وـحـسـان مـثـل الـدـمـى عـبـشـمـيا	ت عـلـيـهـن بـهـجـة وـحـيـاء
لـا يـبـعـن العـيـاب فـي مـوسـم النـا	س إذـا طـاف بـالعـيـاب النـسـاء
ظـاهـرات الجـمـال وـالسـرـو يـنـظـر	ن كـمـا يـنـظـر الأـرـاك الـظـبـاء

في النص نبرة حزن تهيمن على المعنى الإجمالي للصورة الشعرية ، مما ينقل الشعور إلى تبين مفهوم الرثاء وليس وصف المكان ، فابن قيس الرقيات يرثى تلك الأماكن المتعددة ، والتي يمرر فوقها مشاعره قطعة قطعة ، وببطء شديد ليصيبك بما أصابه من خوف وحسرة على الخواء والفراغ الذي أصاب تلك الأماكن التي كانت تموج بالحركة والحيوية والنشاط .

(1) الصورة والبناء الشعري ، ص 181 د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، 1981م .



وكثرة الأماكن يناوش من خلالها الشاعر الذاكرة الإنسانية ويستحث بها شعور القرشيين خاصة ، لأنها موطنهم ومرتع ذكرياتهم ، كما أنه من جهة أخرى يومئ إلى الأمويين الذين نقلوا الخلافة من الحجاز إلى دمشق ، فتركوا الحجاز (مقفرة خالية تستثير الأسى ، وتستدر الدموع ، وكأنه يستبدل ببكاء الأطلال هذه المقدمة الجديدة) (1) ، ولعل هذا الرأي ينقلنا إلى شكل آخر من أشكال الصراع السياسي ، يدير من خلاله الأمويون معركتهم ، فالمكان يقترن (في ثقافة الشاعر بالموقف السياسي إزاء التحولات التي أحدثها الصراع التاريخي بين بنى أمية والزييريين) (2)

وكانت الصورة شاملة عند ابن قيس عندما أبصر أن التحول الذي أصاب المكان تخطى البعد الفني والسياسي إلى جوهر الصراع وهو الإنسان ، وفي هذا البعد كان التوظيف الفني شائقا ورائقا عندما جعل الأثر السيء للمكان يتبلور في صورة المرأة التي برزت من خدرها ، وصارت تمارس أعمال البيع والشراء في الأسواق بعد أن كانت مصونة في ستر عفافها (ولبست البلى بعد القشيب ، وتعطلت من الحلى والحبيب ، فقد غدت مقعدة يائسة ، قد انقطع حبل رجائها ، وتضعضع أس بنائها ، وطواها الدهر ، ونشر خرابها ، إنها صورة يألم لها العربي أشد الألم) (3)

وبهذه الصورة القاتمة للمرأة داخل المكان ، تطورت الصورة وتعمق الموقف الشعري . فلم تعد القضية أو الصراع عند الشاعر سياسيا فقط ، بل تشابك معه مفهوم آخر هو ما يمكن أن يطلق عليه الغربة الاجتماعية ، فراح يبكي بكاء مرا (وكأنى به يستوحش الأمكنة دون أهلها ،

(1) في الشعر الأموي ، دراسة في البيئات السياسية ، ص 107 ، د. مي خليف ، دار غريرت للطباعة والنشر ، د . ت .

(2) صورة المكان في شعر ابن قيس الرقيات ، ص 155 ، يوسف محمود عليمات ، المجلة الاردنية في اللغة العربية وأدابها ، مج 3 ، ع 2 ، 2007 ، الأردن .

(3) فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتيه جمالية ، ص 26 ، د. حبيب مونسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .



وظل مرتبطا بذاكرة المكان الذي يوحى بالقرشية وبقاء الأمويين مع حلف قريش⁽¹⁾ وهو حلم - كثيرا - ما راود الشاعر ليجابه به الواقع الحزين والمهترئ .

لقد اعتمد الشاعر عند تصوير المكان شعورا دينيا عندما عدد أماكن كثيرة في مكة لها في الوجدان الديني عبق خاص ، وأيضا عاطفة إنسانية يستجدي بها مخاطبة الحس والنخوة العربية ، وهو توظيف فني غني .

ثالثا : المكانة الدينية

حين ينسج الشاعر موقفه فنيا يعتمد الأدوات والوسائل والمعطيات التي يراها تبلور هذا الموقف ، وكان ديدن الشاعر في صياغة هذا الموقف الارتكاز إلى بلورة الصورة الذهنية لدى المتأمل مستلهما التاريخ كأداة حية وفعالة لبناء شعوره تجاه قريش ، فهو مفهوم تجذر في وعيه وملك عليه روحه وقلبه .

وهنا يستحضر قريشا ذات المكانة الدينية قديما وحديثا ، ويعتمد بجوار تلك المكانة الدينية مكانة اجتماعية ، وتتعدد تلك القيم الدينية والاجتماعية لتصبح موقفا تاريخيا ويشكل من خلال هذه المكانات ما يمكن أن يطلق عليه الوعي التاريخي ويعنى به (استقبال الوعي في قنواته الإنسانية ومساره في التاريخ والتجربة الإنسانية)⁽²⁾ وبهذا المفهوم وعى الشاعر مكانة قريش ، وصبغها بالصبغة الدينية من خلال بعدين واقعيين ، إلا أنه ارتفع بهما من لغة الواقع إلى لغة الفن ، وأول الأبعاد التي شكلت هذه المكانة :

(1) الغربة والاعتراب في شعر عبید الله بن قیس الرقیات ، ص 133 إنعام روافة. مجلة مؤتة للدراسات والعلوم الاجتماعية مج 19 - ع 8 - 2004 .

(2) من النص إلى الواقع ، ص 99 ، د. حسن حنفي مركز الكتاب للنشر ، 2004 ، القاهرة .



1- الشخصيات :

وهي شخصيات تميزت بعبق ديني في الذاكرة الإنسانية ، قصد من ورائها الشاعر بث شعور عاطفي متشح برداء الدين ، وهو شعور له مكانة خاصة في النفس الإنسانية بشكل عام ، لأن الدين يأخذ شكل القداسة ويحظى بكريم العناية والاهتمام ، وله تجليات روحية عالية ، يقول الشاعر مفتخرا (1) .

نحن منا النبي الأمي والصد	ديق منا التقى والخلفاء
وقتيـل الأحزاب حمزة منا	أسد الله والسـناء سـناء
وعلى وجعفر ذو الجناحيـ	ن هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي أجاب رسول الـ	له في الكرب والبلاء بلاء

تلاحظ على الشخصيات أهميتها ، وتعددتها قيمة ومكانة كما أن دورها التاريخي بارز ومؤثر .

لكن مما تجب الإشارة إليه أن هناك إحياء خفيا لاستيعاب الماضي حتى ولو كان جاهليا ، فقريش التي منها تلك الشخصيات التي أيدت الإسلام وناصرته ، هي شخصيات تنتمي لتاريخ مجيد صاغ مكانة قريش ، وهي تتلاقى مع المفهوم الذي تصوره تلك الشخصيات التي قامت على خدمة الحجيج ، فحقق لهم ذلك الامتداد التاريخي في الكرم والسؤدد إن (مهمة الرفاة جلبت لقريش كثيرا من الفوائد الأدبية والمادية ، فالمؤاكلة تعتبر عقد جوار وحلف عند العرب ، فوق أن الضيافة وإطعام الطعام كان يعتبر أكبر المحامد في المجتمع العربي) (2) فالمجد موصول لقريش في القديم ، وفي عصر الشاعر يكون المجد أنصع وأرقى من الكوكبة القرشية التي ذكرها.

(1) الديوان ، ص 89 – 90 .

(2) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص) ، ص 147 ، أحمد إبراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، د.



لقد بدأ الشاعر أبياته السابقة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتبعه بأبي بكر ، وعرج على الخلفاء الراشدين بشكل إجمالي معتمدا على ثقافة القارئ وأيضا على ذبوع صيتهم واتساع شهرتهم ويقصد بهم أبو بكر وعمر وعثمان.

وعاد في البيت الثاني ليفصل أسماء بعينها كانت لها بعض الأحداث والملابسات التاريخية مثل حمزة بن أبي عبد المطلب الذي وصفه بصفتين هما قتيل الأحزاب وأسد الله ، وهو مستلهم من حديث رسول الله (ص) الذي ورد في المستدرك هكذا (لما أصيب حمزة جعل رسول الله (ص) يقول : لن أصاب بمتلك أبدا، ثم قال لفاطمة ولعمته صفية رضى الله عنهما : أبشرا ، أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله) (1) .

وكرر الشاعر الإمام عليا مرتين صراحة في مقدمة البيت الثالث ، وبصفة من صفاته (الوصي) استنادا إلى خطبة الرسول (ص) يوم غدير خم (2) .

ويذكر - أيضا - جعفر بن أبي طالب الذي أبلى في غزوة مؤتة بلاء قل نظيره ، حتى قطعت يداه وقال فيه الرسول (رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة) (3).

(1) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، ج 3 ، ص 214 ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 ؛ وراجع أيضا امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع - تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، ج 1 ، ص 154 صححه وشرحه محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والنشر .

(2) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعيان للحافظ الذهبي ، ج 1 ، ص 648 ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغروب الإسلامي .

(3) أخرجه الترمذي في باب مناقب جعفر بن أبي طالب أخى على رضى الله عنهما (763) .



إن ابن قيس الرقيات وهو يذكر هذه الشخصيات يشير إلى مكانة قريش الدينية والاجتماعية ليومئ بشكل ضمنى إلى المعسكر الآخر (الأمويين) .

و ذكر حمزة رضي الله عنه يستدعى على الفور هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب بن أمية وأم معاوية بن أبي سفيان يوم أن مثلت بجثته يوم أحد لقد حاول ابن قيس أن يتخذ (من السياسة ظاهرة فنية لإبراز قدراته وطاقاته الإبداعية ومدى تعصبه لقريش ، لهذا نجده يسلط الضوء عليها وعلى أعلامها وعلى شخصياتها مفتخرا أو مادحا) ⁽¹⁾. وهنا تحديدا في الأبيات السابقة يأتي الافتخار والمدح من باب نصره الإسلام ، والنضال من أجل رفع رايته (لهذا نجد الشاعر ابن قيس الرقيات قد ارتبط ارتباطا وثيقا بقبيلة قريش فأثرت على مخزونه الفكري والثقافي) ⁽²⁾ وهو ما جعل التعبير الفني داخلا في إطار تعزيز المعنى وتقويته ، وليس من باب التصوير الفني ، ولا يمكننا أن نعمم القراءة من منطلق توظيف الشخصية الإسلامية ودلالاتها في بلورة الرؤيا الشعرية ، لأن هذا سيكون اقتسارا وعنوة في تطبيق الفكرة على النص الشعري.

2- الكعبة :

هذا المصطلح من المستويات التي تتكامل مع البناء الفني السابق (الشخصيات) في الاتكاء على المعطيات التاريخية ذات البعد الديني التي تميزت بها قريش وخلع عليها مكانة دينية. وهذه المكانة تحققت بفعل الإسهامات المادية والمعنوية التي قدمتها قريش لمكة عامة وللکعبة خاصة.

(1) عبق قريش في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص 1 ، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بغداد العدد 67 ، 2011 .

(2) شعر عبيد الله بن قيس الرقيات دراسة موضوعية فنية ، ص 54 ، رسالة ماجستير ، جنان فاضل على الجعيفري ، العراق ، 2011 .



وفى هذا المقوم - الكعبة - تحديدا يذهب إلى مفهوم يفضي إلى معنى التجدد والنماء وال عمران والحب ، وهو إعادة بناء الكعبة بعدما هدمت على يد الأمويين يقول الشاعر مفتخرا بذلك (1) :

ليس لله حرمة مثل بيت نحن حجابـه عليه المـلاء
 خصه الله بالكرامة فالبا دون والعـاكفون فيـه سـواء
 حرقته رجال لخم وعك وجذام وحمير وصداء
 فبنيناها من بعدما حرقوه فاستوى السمك واستقل البناء

يروى ابن الأثير في كتابه الكامل (لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام ، فلما مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع في بنائها) (2) ، وفى الحقيقة لم تكن تلك هي المرة الأولى ، لقد تعرضت الكعبة لمحاولات هدم كثيرة ابتداء من حادثة الفيل ، وانتهاء بالحجاج بن يوسف الثقفي لذلك تلمح في إشارة الشاعر (حرقوه) بتشديد الراء إشارة ضمنية لذلك ، ومما يعضد ذلك ذكره للخم و جذام وهما من القبائل العربية التي خاضت ضد قريش حربا في بداية الدعوة الإسلامية وعرفت (بغزوة ذات السلاسل وهى غزوة لخم و جذام) (3) .

ويثير هذا النوع من الشعر إشكالية الدور التاريخي للشعر أي تأريخ لمناقب قريش شعرا ، وهو ما نستبعده عن ابن قيس الرقيات ، لأنه لم يكن يهدف إلى ذلك.

(1) الديوان ، ص 95 .

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج 4 ، ص 24 ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق .

(3) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني ، باب المغازي ، ص 674 ، دار الريان للتراث ، 1986 ، وانظر أيضا صحيح البخاري باب المغازي 4100 ، دار ابن كثير ، سنة 1993 .



وإنما هو لا يزال يمسك بخيوط الإبداع الشعري ويسخر التاريخ فنيا لخدمة الشعر، وهنا يتكئ على حدث هو (هدم الكعبة) لتوظيفه فنيا وشعوريا ليستثير نخوة الأمويين حتى يروعوا ويطلق على هذا النوع من الشعر التعريض، ولقد علق على ذلك ابن رشد في تلخيصه كتاب الشعر لأرسطو يقول (النفوس التي هي فاضلة وشريفة بالطبع هي التي تنشيء أولا صناعة المديح أعنى مديح الأفعال الجميلة - وإن كان قد يضطر الذي مقصده الهجاء للشرارة، والشرور أن يمدح الأخيار والأفعال الفاضلة ليكون ظهور قبح الشرور أعنى إذا ذكرها ثم ذكر بإزائها الأفعال القبيحة) (1)، وهو أسلوب فني دقيق إذ يحتاج المتأمل في هذا النوع من الشعر إلى استقراء المعنى الكامن خلف النص، وهو - أيضا - تكتيك فني يتوافر على مهارة إبداعية جذابة وطريفة .

ان ابن قيس الرقيات في هذه الأشعار يجسد مثالا صاغه من قيم فنية وجمالية وبالصورة الشعرية حيننا وبالواقع الفني أحيانا أخرى من خلال استدعائه الكثير والمتكرر للتاريخ، وفي كل هذه العوالم المتعددة كان مفهوم الحب والسلام هو ديدنه وموقفه الشعري .

لقد اعتمد الشاعر مفهومي متناقضين هما الهدم من خلال الإشارة إلى الأمويين تلميحا وتصريحا، والأخر البناء عندما جعل التجاوز والارتفاع عن الخلافات سبيلا وغاية وتبني القريشية موقفا شعريا لحقن دماء العرب والمسلمين النازفة، ويأخذ معه عالمه الشعري إلى المعترك السياسي، ويخوض به معارك مشهودة في هذه القصيدة وفي غيرها من أشعاره الكثيرة التي حفل بها ديوانه .

وابن قيس حصره النقد في غرض واحد هو الشعر السياسي، ولا يستطيع أحد تصفح أعماله أو حتى قرأ حياته أن يعترض على بروز السياسة في شعره بشكل لافت، غير أن هذا الرأي أغمض الطرف عن الجوانب الفنية المتميزة والمتفردة في شعر ابن قيس الرقيات، ولا

(1) تلخيص كتاب الشعر لأرسطو، ص 64 .



غضاضة في الانطلاق من موقفه السياسي لرصد الظواهر الأدبية عنده مثل تبنيه لقضية الشعر والنفاز من خلالها إلى أدق تفاصيل الحياة ، إنه يعيد رسم العلاقات الدقيقة والمتشابكة والتي قد تبلغ حدا من التعقيد بحس شعوري ووجداني رهيف ، وهو نوع من البناء يوجد فقط عند فئة قليلة من الشعراء .

رابعا : الصراع السياسي

هو من أهم مستويات البناء الفني للموقف الشعري عند ابن قيس الرقيات نظرا لما مارسه الشاعر من واقع سياسي قوي وعريض ، وحين انغمس في السياسة كان ذلك بدافع وجداني وشعوري ولم يكن بدافع أيديولوجي ، أي إن ما كان يحكمه في آرائه السياسية هو عاطفته الفياضة تجاه الرمز الأكبر للحب والائتلاف وهو مفهوم التوحد تحت راية واحدة .

إننا نعتمد في تحليل البناء الفني للمستوى الرابع من أبنية الموقف الشعري لتجربة ابن قيس الرقيات في هذه القصيدة وهي لا تبعد كثيرا عن تجربته الشعرية نعتد كيفية بناء الحدث شعريا لأن نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي⁽¹⁾ ويمتاز النص محور هذه الدراسة في كونه يجمع بين الحدث والتاريخ، فهو كما أشار إليه النص السابق حدث تاريخي له أبعاده الواقعية والفنية في آن واحد .

لقد عرف ابن قيس الرقيات بأنه (شاعر قريش في الإسلام)⁽²⁾ ، كما عرف عبد الله بن الزبير بأنه شاعر قريش في الجاهلية⁽³⁾، وهي مقارنة تستمد مقوماتها من تشابه الموقفين لكلا

(1) تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، ص 120 ، د. محمد مفتاح ، ط 3 ، 1992 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت .

(2) خزائن الأدب ، ج 3 ، ص 267 ، البغدادي .

(3) طبقات فحول الشعراء : 92 دار الكتب العلمية 2001 م.



الشاعرين وولائهما وانتماءهما عاطفيا وشعوريا ، إلا ان ابن الزبيري كان ذا عقيدة قرشية متطرفة ومتشددة .

إن تجربة تصوير الصراع السياسي في قصيدة ابن قيس تتخطى الجانب المذهبي الضيق أو الصراع البسيط بين الزبيريين والأمويين ليصبح صراعا سياسيا على صعيد وجدان الشاعر ، قبل أن يكون متجسدا على أرض الواقع . لذلك كان الصراع السياسي عنده عميقا ومتعدد الدلالات والمعاني والمحاور وتجلي في :

1- قريش : صارت (قريش) في تجربة عبد الله بن قيس الرقيات - كما أشرنا سابقا - مفهوما مثاليا مجردا ، مثل كل المفاهيم المجردة كالحب والحق والخير والجمال ، وتجاوز بالمصطلح الإطار الدلالي واللغوي وحتى المعنوي .

ورسم هذا المفهوم بإشارات كثيرة مثل المكانة الدينية أو التاريخية التي فصلنا فيها القول في المستوى السابق ، وهنا يستكمل الشاعر باقي الدلالات كالبعد الاجتماعي الذي كان لقريش قديما مثل هذه الشخصيات التي قاربت حد الأسطورة في صفاتها ونبل أفعالها ، يقول الشاعر عن بعض رجالات قريش (1) .

منهم ذو الندى سهيل بن عمرو عصمة الجارحين حب الوفاء
ورجال من الأحابيش كانت لهم في الدين حاط دماء

و الشاعر يشير إلى سهيل بن عمرو وكان يلقب بمشقوق الشفة ، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعله يقوم مقاما محمودا فأسلم سهيل في الفتح وقام خطيبا حين توفي رسول

(1) الديوان ، ص 92 - 93 .



الله صلى الله عليه وسلم وهاج أهل مكة وكادوا يرتدون ... فسكن الناس وقبلوا منه ذلك) (1) .
 فالشاعر يوظف أحداثا تاريخية مثل دور سهيل بن عمرو في التاريخ وهو دور لا ينكر حين ساهم
 في الانتقال السلس والسهل للسلطة في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
 حينما تنازع أهل مكة الارتداد على الإسلام أو التمسك به ، فهو من المواقف التي يعدها ابن قيس
 الرقيات مأثرة من المآثر التي لقريش ، مع الأحباش الذين ناصروا الإسلام والمسلمين .

وهنا تجدر الإشارة إلى القيمة الفنية لاستدعاء الشخصية وتوظيفها في أكثر من اتجاه ، بل إن
 حيوية هذا التوظيف تكمن في الانتقال من الدلالة البسيطة (الدور الاجتماعي) إلى الدلالة العميقة
 (الدور السياسي) وعدد الشاعر نماذج متعددة في إشارة منه إلى وفرة وقوة مكانة قريش من خلال
 الشخصيات التي تحمل أبعادا اجتماعية وسياسية ، وذلك مثل قوله عن عبد الله بن جدعان (2) .

والذي إن أشار نحوك لظما تبع اللطم نائل وعطاء

ويجمل في صورة فنية لافتة شدة كرم قريش وعزها (3) :

والبحور التي تعد إذا النا س لهم جاهلية عمياء
 يطمعون السديف من قحد الشو ل من أوت إليهم البطحاء
 في جفان كأنهن جواب مترعات كما تقيض النهاء

(1) نسب قريش ، ج 1 ، ص 415 لأبي عبد الله الزبييري ، ث 236 ، ط 3 ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار
 المعارف .

(2) الديوان ، ص 93 .

(3) الديوان ، 93 - 94 .



فهذه الصفات المتعددة التي ألحقها الشاعر بالقرشيين تعبر عن كرمهم وشدة اهتمامهم فهم البحور ، وهم الذين يطعمون أضيافهم أجواد أنواع الأكل ، ورمز إلى ذلك بالسنام .

2- الشرف والرياسة : من الأسباب التي جعلت قريشا تحوز مكانة سياسية عالية ورفيعة ما توجوا به من المكارم والجاه ، وهما صفتان تحتويان على سمة أخلاقية إذ لا يتمتع بهما إلا من حباه الله سيرة حسنة وكرم أخلاق ، يقول الشاعر (1):

رجال لو شئت سميتهم من	—	وما القضاة والعلماء
وهم المحتبون في حلل اليم	—	نة فيهم سماحة وبهاء
أقسموا لا نزال نطعم ما هب	—	ت رياح الشمال والأصبياء
وعياض منا عياض بن غنم	—	كان من خير ما أجن النساء

فالشاعر يذكر فيهم الشرف والرياسة والقيمة الاجتماعية التي جعلتهم يتبوءون المناصب الرفيعة يقول ابن عبد البر في الاستيعاب عن عياض بن غنم (كان شريفا في قومه) (2) ويذكر ابن سعد (كان فاضلا سمحا ، وكان يسمى زاد الركب ، يطعم الناس زادا ، فإذا نفذ نحر لهم جملة) (3) .

هذه المعاني والقيم التي تدل عليها الشخصيات التي يعدها الشاعر ترفد المعاني الشعرية عنده بظلال وأجواء نفسية وإيماءات شعورية لها عمق تاريخي (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد مناف عز قريش وأسد ركنها وعضدها ، وعبد

(1) الديوان ، ص 92 – 94 .

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج 3 ، ص 303 ، تحقيق الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2002 .

(3) الطبقات الكبير ، ج 4 ، ص 315 ، ابن سعد تحقيق على محمد عمر ، ط مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 2001 .



الدار رثتها وأوائلها ، وعدى جناحها... وجمح وسهم عديدها وعامر ليونها وفرسانها ، والناس تبع لقريش ، وقريش تبع لقصي (1) .

لقد كثف ابن قيس الرقيات من الظلال الایمائية والشعورية لبلورة موقف فني وهو من صميم الأدوات الفنية التي أشار إليها ابن طباطبا فذكر منها (المعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم) (2) . وهنا تكمن مكانه ابن قيس الرقيات ومكانته الشعرية .

3- ابن قيس بين مصعب ابن الزبير والشام :

أشرت سابقا إلى أن هذه القصيدة لم تكن قراءتها نقديا على مستوى كتابتها إبداعيا ، نظرا لاختلاف تناول فتم اختصارها في بعض المسميات البسيطة مثل مدح مصعب بن الزبير ، والتي استند فيها من ذهبوا هذا المذهب إلى الأبيات التي قالها الشاعر في مصعب ابن الزبير والتي يقول فيها (3) :

إنما مصعب شهاب من اللـ ه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه جبـروت ولابـه كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد أفـ لح من كان همـه الانتقاء

وهي أبيات قوية في معناها ومبناها وتدل على عاطفة صادقة ، وإحساس مشبوب بالحب الدفين ، إلا أن انتزاع هذه الأبيات تحديدا لتكون - مثلا - عنوانا للقصيدة ، أو لتكون هي نقطة

(1) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، ج 5 ، ص 145 للفاكهي ، تحقيق د. عبد الملك عبد الله هيش ، دار مصر ، بيروت .

(2) عيار الشعر ، ص 41 ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق محمد زغول سلام ، ط 3 ، مطبعة التقدم ، الإسكندرية .

(3) الديوان ، ص 91 - 92 .



انطلاق فني وموضوعي للقصيدة ، ولشعر ابن قيس الرقيات إجمالاً ، فهذا هو البعد عن الموضوعية بعينه ، ومغادرة الأحياء الفنية التي هي غاية الشعر ومبتغى الشاعر .

لذلك يجب أن يتم النظر في القصيدة من منطلق التكامل الفني بين صورها حتى ولو كانت هذه الصور جزئية أو متناقضة شكلاً ، ففي ضوء القراءة الكلية أو الإجمالية تتبلور رؤية متكاملة .

من هذا المنطلق نضع هذه الأبيات التي يحرض فيها ابن قيس الرقيات على الثورة في الشام والتي عبر عنها هكذا (1) .

يشمل الشام غارة شعواء	كيف نومي على الفراش ولما
عن براها العقيلة العذراء	تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي
روأنتم في نفسي الأعداء	أنا عنكم بنى أمية مزور
كان منكم لئن قتلتهم شفء	إن قتلى بالطف قد أوجعتنى

وكما كانت أبياته في مصعب محكمة المعاني ، وتنسأل فيها الأفكار انسيالاً ، تلاحظ على الأبيات السابقة التي يعرض فيها بالأمويين ، ويبرز كرهه وغضبه منهم ، روح التشفي ، وحنق الغيظ .

إن مقابلة هذا الأبيات التي يحرض فيه على الأمويين بأبياته في الإشادة بمصعب تشير إلى :

1- لم يأت على ذكر قريش تصريحاً أو تلميحاً .

(1) الديوان ، ص 95 - 96 .



2- حصر الصراع بين البيت الزبيري والبيت الأموي .

3- أبدى الشاعر سببا لهذا الكره الذي يكنه للأمويين ، وربط ذلك بموقعه الطف التي تم فيها

اغتيال الإمام الحسين (وكم تمنى ابن قيس لو دارت الدائرة على الأمويين في الطف) (1)

فالشاعر لا يزال مخلصا للمفهوم الأعلى وهو (قريش) حتى وإن هاجم الأمويين ، وهو يعتقد أن هجومه له ما يبرره سوى حادثة الطف ، فلقد (أوشكت سياسة الأمويين أن تقضي على قبيلة قريش ، فقد قاموا بتحييد رجالاتها ، ومكنوا لغيرها من القبائل المنافسة التي ظلت تحسدها ، وتتطلع إلى سلطانها في الجاهلية والإسلام) (2) وهذا الموقف من قريش نحا به الشاعر منحى قبليا وبالغ فيه كثيرا ، وكان من الأخرى وهو يحارب موقف الأمويين وصراعه معهم لو اتجه نحو إبراز موقف إنساني يجمع الأمويين والزبيريين ومن ورائهم قريش ، لكان صاحب موقف ورؤية إنسانية ، وتجاوز المنظومة الاجتماعية التي اعتمد عليها (شعراء بني أمية في قصائد المديح الأموي ، ويمكن القول إن القبائلية تتشابه مع الأعراف القبلية) (3) .

ونحن هنا لا نحاكم الشاعر على رأيه السياسي ، فالحرية مكفولة في أي اتجاه ذهب إليه سياسيا أو اجتماعيا ، وإنما ما نقصده من الإشارة إلى الصراع السياسي في شعر ابن قيس الرقيات طريقة إدارته للصراع بين ولائه وحبه وانتمائه لقريش هذا المفهوم الأعلى والأشمل ، وبين إخلاصه ووفائه للزبيريين ، ونقده ومعارضته للزبيريين .

(1) ابن قيس الرقيات في شعره السياسي ، ص 173 ، د. السيد الديب ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ع 7 ، 1987 .

(2) ابن قيس الرقيات والأسماء قراءة نقدية في ضوء الأنساق الثقافية ، د. محمد مشعل الطويرقي ، مجلة بحوث التربية النوعية ، جامعة المنصورة ، ع 7 ، مايو 2010 .

(3) المحمولات الثقافية في قصيدة المديح السياسية في العصر الأموي ، ص 38 ، أ. د. جميل بدوى حمد الزهيري ، مجلة كلية التربية - واسط العدد 13 العراق .



في ضوء هذا الفهم لطبيعة الصراع العاطفي الذي دارت رحاه في وجدان الشاعر ، وجدناه يتخذ بعض المواقف المتقلبة والحادة ، بل من الممكن أن نستطيع استيعاب تلك المتغيرات ، مثل انتقاله من حالة العداء والنقد الشديد للأمويين لحالة المدح ومباركة ما يقومون به من أعمال .

كان هذا المنعطف ملمحا مكملا لأبعاد الصراع النفسي والعاطفي والشعوري، واختزله بعض الدارسين تحت مسمى الصراع السياسي ، بل إنهم ذهبوا إلى إلباس الشاعر رداء أقل قيمة من موقفه الشعري الذي نجح في تشكيله ورسمه من مقومات فنية ، كان حريصا من خلالها على إعلاء قيمة الشعر ومكانته ، وواعيا بأبعاد الصنعة الشعرية ، وهو ما أشار إلى قدرة أدبية وفنية عالية ، وموهبة متفردة .

الخاتمة

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن والاه .

أما بعد ،،،

فإن ابن قيس الرقيات في قصيدته التي حاولنا أن نتبين - من خلالها - آفاقا جديدة لبناء الفن الشعري الذي يعتمد أدوات ولغة كانت جديدة بالنسبة لعصره ، مثل اعتماد الصورة الفنية المركبة ، التي تجعل المعنى ينداح في آفاق وحقول معرفية ودلالية ووجدانية .

وكان اعتماد الموقف الشعري منطلقا لهذه الدراسة خطوة لشرح الإشكالية التقليدية التي تحكم النقد بالإبداع في عمومها ، ثم النقد القديم تحديدا بالشعر القديم خاصة ، وهو ما جعلنا نتقدم لقراءة القصيدة وفق منطق الحدث نفسه ، ومن خلال ظروف العصر الذي نشأت فيه ، ولم نحاول أن نقيس هذه الأفكار الشعرية المتقدمة زمانا والمتقدمة أيضا فنا ورؤيا بمنطق النقد الحديث .

وهو حوار بين الرؤى النقدية والإبداع تخطى حدود العصر وتجاوز الإطار الفني للمفهوم الشعري الضيق في الدراسات النقدية القديمة . كما لا أدعى أنني قمت بتطبيق مناهج نقدية



معاصرة ، وإنما هي قراءة انطلقت من النص بداية ، ولم تتجاوزه نهاية ، استطعنا أن نلمح في القيمة الفنية للقصيدة مفاهيم وإجراءات تتم عن تمكّن شعري ، وقدرة إبداعية وامت بين الشعر وما يتضمنه من جانب فكري ، وكيفية إعادة الفكرة فنا شعريا .

المصادر والمراجع

- 1- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، للفاكهي ، تحقيق د. عبد الملك عبد الله أبودهيش ، دار مصر ، بيروت .
- 2- أدب ونقد العدد 146 ، حسن فتح الباب ، 1997 .
- 3- الأغاني الأصفهاني دار إحياء التراث العرب بيروت لبنان ط 1 1994 .
- 4- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لـ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والنشر .
- 5- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعيان للحافظ الذهبي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغروب الإسلامي .
- 6- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، ط 3 ، 1992 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت
- 7- التقنيات الفنية خلف ظاهر النص ، حسن غريب أحمد سلامة ، دون ناشر . القاهرة
- 8- تلخيص كتاب الشعر لأرسطو- تحقيق الدكتور تشارلس بترورث والدكتور أحمد عبدالمجيد هريدي - الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986
- 9- جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه وادي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 2000 .
- 10- حديث الأربعاء ، د. طه حسين مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2001 .
- 11- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ط 2 - 1965 ط



- الخلبي .
- 12- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - 1997 .
- 13- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2002 .
- 14- الذاتي والموضوعي في شعر ابن قيس الرقيات ، د. أمل طاهر نصير ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 28 ، ع 8 ، الأردن ، 2001 .
- 15- الجامع الكبير - سنن الترمذي. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط -1996- دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- 16- الشعر الحديث ، بنياته وإبدالاتها التقليدية ، د. محمد بنيس ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2001
- 17- الشعر خلق علاقة وارتباط بين الموقف والموضوع الذي يطرحه ، صحيفة المستقبل العراقي بتاريخ 2016/9/25 للكاتب أحمد البياتي .
- 18- شعر عبيد الله بن قيس الرقيات دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير ، جنان فاضل على الجعيفري ، العراق ، 2011
- 19- شعر ناجي ، الموقف والأداة ، د. طه وادي . ط 4 - 1994 دار المعارف - مصر
- 20- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 1958 ، دار المعارف ، مصر .
- 21- الشعر والموقف د. عبد الرحيم الكردي ، . مجلة كتابات 34 مارس 2012
- 22- صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، سنة 1993 .
- 23- صورة المكان في شعر ابن قيس الرقيات ، يوسف محمود عليمات ، المجلة



- الأردنية في اللغة العربية وأدائها ، مج 3 ، ع 2 ، 2007 ، الأردن .
- 24 الصورة والبناء الشعري د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، 1981م .
- 25 الطبقات الكبرى ، ابن سعد تحقيق على محمد عمر ، ط مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 2001 .
- 26 عبق قريش في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بغداد - العدد 67 ، 2011 .
- 27 العنوان في الأدب العربي ، النشأة والتطور محمد عويس ، مكتبة الأنجلو ، ط 1 ، 1988 .
- 28 العنوان في ثقافتنا العربية ، سعادة لعلی ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة بالجزائر .
- 29 عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق محمد زغلول سلام ، ط 3 ، مطبعة التقدم ، الإسكندرية .
- 30 الغربية والاعتراب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، إنعام رواقه ، مجلة مؤتة للدراسات والعلوم الاجتماعية ، مج 19 ، ع 8 ، 2008 .
- 31 الغربية والاعتراب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات إنعام رواقه. مجلة مؤتة للدراسات والعلوم الاجتماعية مج 19 - ع 8 - 2004 .
- 32 فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني ، باب المغازي ، دار الريان للتراث ، 1986 ،
- 33 فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتيه جمالية د. حبيب مونسى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .
- 34 في الشعر الأموى ، دراسة في البيئات السياسية ، د. مي خليف ، دار غريب للطباعة والنشر ، د . ت .



- 35- ابن قيس الرقيات حياته وشعره ، ص 158 ، د. إبراهيم عبد الرحمن ، سلسلة دراسات في التراث العربي .
- 36- ابن قيس الرقيات في شعره السياسي ، د. السيد الديب ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ع 7 ، 1987 .
- 37- ابن قيس الرقيات والأسماء قراءة نقدية في ضوء الأنساق الثقافية ، د. محمد مشعل الطويرقي ، مجلة بحوث التربية النوعية ، جامعة المنصورة ، ع 7 ، مايو 2010 .
- 38- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، تحقيق عبدالله القاضي د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية 2006 . بيروت
- 39- الكامل في اللغة و الأدب المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط3 1997 دار الفكر العربي .
- 40- المحمولات الثقافية في قصيدة المديح السياسية في العصر الأموي ، ، أ. د . جميل بدوى حمد الزهيري ، مجلة كلية التربية - واسط العدد 13 العراق .
- 41- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011 .
- 42- المستوى التركيبي في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، عبد الله أحمد التوتوات ، مجلة التربوي ، جامعة المرقب ، ع 5 ، يوليو 2014 ، ليبيا .
- 43- مفهوم الشعر في التراث العربي بين التقليد والتجديد ، مجلة فكر وإبداع .
- 44- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أحمد إبراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، د. ت .
- 45- من النص إلى الواقع ، د. حسن حنفي مركز الكتاب للنشر ، 2004 ، القاهرة .



- 46- الموشح "مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، أبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني [ت 384هـ] المحقق: علي محمد البجاوي - الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع دت
- 47- الموقف والتشكيل في الشعر الإسلامي المعاصر ، د. عمر بوقروره ، مجلة الرزقاء للبحوث والدراسات ، الأردن ، مجلد 1 عدد 2 ، 1999 .
- 48- نسب قريش ، لأبي عبد الله الزبيرى ، ث 236 ، ط 3 ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف
- 49- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية .بيروت.دت.
- 50- نقد الشعر بين النظرية والتطبيق (232 - 322) ، د. حمزة فاضل يوسف مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، رقم المجلد 40 - 2005 .

